

## قطاع النحاس والفضة

\*\*\*\*\*

يحتل قطاع النحاس والفضة مكانة مرموقة بين باقي الحرف التقليدية التي تزخر بها مدينة فاس منذ القدم. لهذا القطاع دور كبير في تنمية الجانب السوسيو اقتصادي لهذه المنطقة. فمن الناحية الاجتماعية يساهم في تحريك دواليب التشغيل باستقطابه يدا عاملة مهمة من مختلف الأعمار، أما من الجانب الاقتصادي يعتبر هذا القطاع محركا لاقتصاد المدينة لما يوفره من مداخيل من العملة الصعبة . ولتقريب القارئ أكثر من هذه الحرفة أجرى طاقم المجلة حوارا مع بعض أقطابها السيدين محمد مفيد ومحمد لوري الحيايني، أوضح المتحدثين أن هذه الحرفة كانت تمارس في العديد من الأماكن المتواجدة داخل اسوار المدينة العتيقة كالفنادق، بين المدون، النخالين، باب السنسلة، لبليدة.

الآلات والأدوات والمواد المستعملة في هذه الحرفة عديدة ومتنوعة، نذكر منها آلة الطور (Tour) ويحتوي على مراتب النكلاس، الكرة... أما التلحيم فتستعمل فيه السبيكة وتضاف لها نسبة من الرصاص . البوليساج يتوفر على الشيفون، العجين الأحمر الذي تغمس فيه القطعة من النحاس لتصبح لينة، العجين الأزرق تغمس فيه القطعة لتصبح لامعة، الزيت المحروقة للسيارات، وكذلك هناك ما يعرف عند الصناع بالشيفون، هذا بالنسبة لعملية البوليساج. أما الزواق المطلق ويهم غالبا الصينية، التربيعة... فيتم بواسطة لمزيرة، المطرقة، أضفاري، الماعون مرشوق، المثقب، ازواق لمعلق يهم البراد، الطاس، اطبق، البابور، ارباع... ويتم استعمال اشكاطة وهي وسيلة تأخذ شكل البراد . وهناك أيضا لمقورنية التي يوضع عليها الطبق للتزويق وهي دائرية الشكل تستعمل لتزويق رؤوس الطبق وغيرها.

فالصناع الصغار يتداولون فيما بينهم العديد من أسماء الأدوات التي يستعملونها في حرفتهم كالمطرقة، اشكاطة، المثقب، بونقطة، مقطع لفتيح، مقطع ازواق، اضفاري مرشوقين، كركاس ، المسطرة، الدابد... الخ

قبل دخول الآلة كان العمل بهذا القطاع شاق حيث كان الصناع يقضي ثلاثة أيام تقريبا لصنع براد واحد . اما اليوم ومع إقحام بعض الآلات كالطور (Tour) والبوليساج (Polissage) في هذه الصناعة سهل العمل بها مع زيادة ملحوظة في معدل الإنتاج.

إلا أنه رغم وجود الآلة لازالت مراحل الإنتاج بهذه الحرفة تعتمد على العمل اليدوي بشكل كبير وتبقى اللمسة الفنية للصانع التقليدي هي الأبرز. ومن المتعارف عليه بهذه الحرفة أنه يتم العمل بها بالقطعة إلا أن المتعلم هو يعمل بالأجرة اليومية . فالصانع ينتقل بحرية بين

الوحدات الإنتاجية وحتى وإن طال به الأمد وهو يعمل بورشة معينة فهو دائما يعمل بالقطعة . ومن المتعارف عليه أيضا أن لكل صانع اختصاص معين . إذا أخذنا صناعة البراد كمثال نجد أربعة عشر صناعا يعملون عليه عبر مراحل: لفريغ الطور(أي الرشم) ، التلحيم، البوليساج، الزواق ويتم بواسطة اشكاطة ، المطرقة، المثقب، بونقطة، مقطع لفتيح ، مقطع الزواق، اضفاري مرشوقين، كركراس.....الخ.

وفي السنين الأخيرة تظافت عدة عوامل لتكون سببا في إحداث الحي الحرفي للصفارين بعين النقبى الهدف منه إخلاء المدينة العتيقة من الحرف الملوثة لواد سبو الذي يصب بدوره في عرض المحيط الاطلسي. وقد ساهم هذا الفضاء في جعل صناع النحاسيات والفضة يعملون في ظروف جد ملائمة . ويعتبر هذا الحي الذي أشرف على تدشينه صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله، حيا حرفيا نموذجيا على الصعيد الوطني ويتوفر على بنية تحتية في المستور الرفيع،(ويتوفر على كل المرافق الضرورية) يتكون من ثلاثة فنادق تكلفت بتمويلها كل من مجلس جهة فاس-بولمان آنذاك، مجلس جماعة فاس وآخر تم إحداثه في إطار برنامج حساب تحدي الألفية . وأضاف السيد محمد مفيد أن الجهود لازالت تبدل لبناء فندق رابع بدعم من المبادرة الوطنية للتنمية البشرية الغاية منه ترحيل ما تبقى من الصناع المكملين للحي الحرفي بعين النقبى.

خالد السايب، أحد معلمي مدينة فاس في النقش على مادة الحشب. خلق الإستثناء بإصداره مجموعة من المؤلفات في التصاميم الزخرفية الهدف منها الحفاظ على تراثنا الحضاري اللامادي المسطر في الأشكال الهندسية لمعمارنا القديم الذي برعت فيه ايدي صناعنا التقليديين بفكرهم الخلاق منذ قرون، وما المساجد والقصور والبيوت القديم لخير دليل على سموخ الهوية المغربية، ولتقريب القارئ من هذه المرلفات نسرد محتوياتها بإيجاز:

(1)- إصدار أول مرجع موسوعي حول الزخرفة في البناء المغربي الأندلسي ( موسوعة تتألف من جزئين تشمل 370 صفحة في كل جزء . كما تم التطرق لحوالي 27 بابا التخصصات الزخرفية في البناء اختار لها مرلفها إسم فنون الزخرفة في المعمار المغربي: حضارة وتميز.

(2)- بعدها جاء مؤلف مرجعي يهتم بفن الزخرفة الهندسية الإقليدية ( الهندسة التي يتم تعلمها بطرق تقليدية من طرف المعلم بالورشات ) والتي تتعلق بفن التسطير فجاء إسم هذا الكتاب بعنوان كتاب التنوير ، وديوان ..... في فن التسطير حيث نجد في هذا الكتاب مجموعة من الزخارف المسطرة من حضارة البحر الأبيض المتوسط حيث حدد المؤلف أنواع الزخارف في أبواب وعمل باجتهاد في تصنيف الزخارف إلى..... وعائلات زخرفية مع تعليق على زخرفة يحدد فيها المؤلف مكان وجودها قديما وتسمية كل زخرفة حيث نجد المؤلف عمل باجتهاد على استخلاص زخارف جديدة متنوعة رائعة تشهد على عبقرية إبداعات الحرفيين المغاربة.

تأتي بعد هذا المؤلف كتيب صغير عنوانه "المرشد المهني في تعلم فن التسطير" كتاب موجه لكل مهتم بفن التسطير في حقيقة الأمر هو موجه بالأساس لكل من يرغب في تعلم فن التسطير سواء حرفي أو طلبة التكوين المهني أو مهندس. ونجد فيه خمسة نماذج زخرفية تم تسطيرها وتقديمها للقارئ بمراحل من بداية أول مرحلة إلى آخر نهاية تسطير الزخرفة وإظهار جماليتها.

-أما المؤلف الخامس فهو كتاب مرجعي كذلك في فن التوريق المغربي حيث نجد المؤلف قدم فيه 13 باب من فن التوريق تعتبر الأولى من نوعها في تصنيف هذه الزخارف. ومن أبرزها (الأبواب) الباب الأول هو باب زخرفي يهتم به الملوك والسلاطين عبر التاريخ المغربي والإسلامي. إنه باب اتلزخرفة على الورق وهي الزخارف التي تكون في المراسلات السلطانية، وهي الزخارف التي تزين صفحات القرآن الكريم وكذلك المخطوطات بأشكالها وأنواعها، مما يوضح للقارئ على أن المؤلف خبير في الحرفة وخبير الزخرفة المغربية بامتياز كما يشهد له كبار المعلمين والمختصين في الزخرفة وطينا ودوليا. أما الأبواب الأخرى التي نجدها في الكتاب فهي تصنف لنا فن التوريق بكل تقنياته وخصوصياته وتسمياته كل نوع أو شكل تم تقديمه على صفحات هذا الكتاب في أبواب لم

يسبق له مثيل. في الحقيقة إنها مراجع ولدت على يد حرفي فاسي تجعل القارئ يشهد على وطنية المؤلف الذي ضحى بماله ووقته وبحثه في خدمة الخزانة الحرفية المغربية خاصة والعربية الإسلامية عامة في غياب الدعم والتشجيع لهذا المؤلف الحرفي الذي يعتبر أول حرفي يدخل غمار التأليف وسجل إسمه في سجل المؤلفين الكبار ودخل التاريخ من الباب الواسع لذا يستحق كل تشريف وتشجيع. هنيئاً للخزانة الحرفية المغربية والإسلامية بهذه المؤلفات وهنيئاً للمهتمين من معلمين ومهندسين ومتعلمين وباحثين بهذه المراجع التي يتمنى المؤلف أن يستفيد منها القارئ .